

ندوات إذاعية - إذاعة دار الفتوى - الإعجاز العلمي - الحلقة ١٨ - ٣٠ : العقرب.  
لفضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١١-١٢

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة :

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب، دقة الإنسان.  
التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أحد علماء دمشق،  
يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
أخوة الإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ إن نظرة واحدة في القرآن الكريم تؤكد  
لنا أن الله جل وعلا كما أنزل للناس كتاباً مقروءاً فقد جعل هذا الكون ناطقاً بخالقيته وقدرته ،  
يدرك ذلك من يقرأ في آيات الله تبارك وتعالى ، وما يشهد الكون به على عظمة الله سبحانه  
وتعالى ، ولذلك يمكن القول : إن القرآن الكريم والكون هما مصدران للحقائق الدينية والعلمية ،  
والله أنزل الكتاب بالحق :

### ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾

[سورة الإسراء : ١٠٥]

وخلق أيضاً الكون بالحق ، خلق السموات والأرض بالحق ، ولا يتصور تصادم حقين مصدرهما  
واحد ، أو تصادم الحق مع نفسه ، ومن ثمّ فلا تصادم بين الدين الموجود في الكتاب والعلم  
المنشور في صفحة الكون .

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ،  
والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .  
لقد سقت في كتابك الإعجاز العلمي في القرآن والسنة قصة واقعية حول العقرب والانفجار  
النووي ، فالعناية البالغة والقدرة على خلق الإنسان والحيوان والنبات ، هذه الصفات من صنع الله  
عز وجل ، نحن نسوق مثل هذه الأمثلة كي ندل على خلقية الله وقدرته ، فلنبداً مع هذه القصة ،  
ونشارك الأخوة المستمعين في هذه الحلقة .

### الكون والقرآن مصدران للمعرفة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحليم- جزاك الله خيراً - لا بد من تعقيب لطيف على هذه المقدمة التي أدليت بها ، الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبى عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، وقد ذكرت قبل قليل أن الكون والقرآن مصدران للمعرفة ، ذلك أن الحق دائرة يمر بها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح ، وهو القرآن والسنة ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي المأخوذ من الكون ، ولأن العقل الصريح من خلق الله عز وجل ، ولأن الفطرة السليمة من برمجة الله عز وجل لهذا الإنسان ، ولأن الواقع الموضوعي هو خلق الله ، ولأن القرآن هو كلام الله ، والسنة تفصيل نبيه صلى الله عليه وسلم ، إذاً هذه الخطوط الأربعة من أصل واحد ، وإذا اجتمعت الفروع في أصل واحد كانت فيما بينها متساوية.

إذاً أنا أعتقد أنه لا بد من تطابق النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة مع الواقع الموضوعي ، أما إذا كان النقل غير صحيح فيتناقض مع العقل ، أما إذا كان العقل تبريرياً غير صريح فيتناقض مع النقل ، أما إذا كانت الفطرة منطمسة فتتناقض مع المنهج الإلهي ، أما لو تصورنا فطرة سليمة ، وواقعاً موضوعياً ، وعقلاً صريحاً ، ونقلاً صحيحاً فهذه الأشياء الأربعة حتمية تطابقها مئة في المئة ، وهذا ما عبر عنه بعض العلماء الكبار حينما ألف كتاباً عنونه : تطابق النقل مع العقل .

الكون خلقه ، والقرآن كلامه ، والعقل جهاز أودعه الله فينا من خلق الله ، والفطرة جبلة جبلنا عليها ، كلها من الله عز وجل .

الحقيقة أن اختياري لهذا الموضوع في كتاب الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة لا من حيثيات الموضوع ، بل في النتائج المترتبة عنه ، الإنسان له خصائص يتميز بها ، وفيه خصائص يشترك فيها مع بقية المخلوقات ، لكن الحقيقة الأولى أن أية صفة مادية يتصف بها الإنسان ففي المخلوقات الأخرى ما يفوقه بها ، فهو إذا عطل عقله ، ولم يبحث عن الحقيقة ، ولم يكن مؤمناً ، فما من مخلوق من الحيوانات إلا يفوقه في خصائصه المادية ، لكن الإنسان ميزه الله بالعلم ، منحه قدرة إدراكية ، ميزه الله بالخلق ، ميزه الله بالإيمان ، فلو لم يبحث الإنسان عن هذه التي تؤكد إنسانيته هبط إلى مستوى الحيوان .

### العناية البالغة والقدرة على الخلق من صنع الله عز وجل :

ثمة مقالة وقعت تحت يدي من قبل ، مضمونها أن فرنسا قبل خمسة وثلاثين عاماً قامت بتفجير نووي في صحراء الجزائر ، وهذا التفجير النووي لهيب حارق ، وضغط ماحق ، الإنسان يتوهم أن التفجير النووي يقتل الكائنات الحية بفعل الحرارة المرتفعة ، هذا الكلام صحيح ، ولكن كلاماً

لا يقلّ عنه صحة أن الضغط الذي يولده هذا الانفجار يسحق كل شيء ، فمن لم يمت بالحرارة مات بالضغط ، فإذا قلنا انفجاراً نووياً ، فينبغي ألا يبقى كائن حي كائناً من كان بعد هذا الانفجار ، طبعاً هذا الانفجار لا يبقي نباتاً ، ولا حيواناً ، ولا إنساناً ، هذا الانفجار أحدث حفرة كبيرة جداً ، وشكل كرة من النار تعلو إلى مسافات شاسعة ، وبعد نهاية الانفجار ، وسكون الأرض وجدوا عقرباً يمشي في أرض الانفجار ، إنها مفاجأة غريبة عجيبة ، شيء مذهش ، شيء غير مجرب في البحوث العلمية ، لذلك عكف علماء الحيوان ربع قرن على دراسة هذا العقرب !!

الآن يبدأ المغزى ، وجدوا أن العقرب يستطيع أن يبقى بلا طعام ولا شراب ثلاث سنوات ، ووجدوا أن العقرب يستطيع أن يكتم أنفاسه تحت الماء يومين كاملين ، ووجدوا أنه إذا وضع العقرب في ثلاجة ، وكانت البرودة من عشر درجات إلى عشرين درجة تحت الصفر فإنه لا يتأثر ، فلو نقل إلى رمل الصحراء المحرقة في درجة ستين فإنه يتكيف مع هذا التبدل الحراري الطارئ .

ثم إنه إذا وضع في حمام من الجراثيم الفظيعة لم يتأثر بها إطلاقاً ، وكأنه في حمام بارد ، ثم إنهم عرضوه لأشعة نووية تزيد ثلاثمئة ضعف ما يتحملة الإنسان فتحملها ، شرّحوه فلم يجدوا فيه دماً ، بل فيه مصلّ أصفر ، ماذا تعلمنا هذا ؟ قلت قبل قليل : ليست العبرة في هذه الحقائق المدهشة عن العقرب ، بل العبرة فيما سوف نستنبطه منه .

أبدأ الموضوع بمثل بسيط جداً ، عندكم في البيت طاولة صغيرة توضع في غرفة الضيوف ، لو أنك قدمت لهذا الضيف كأس شراب يضعه على هذه الطاولة ، ما وزن هذه الكأس ؟ قد يكون وزنها مئتي غرام ، هذه الطاولة لو وقفت أنت عليها لاحتملت ، هي صممت لتحتمل كأساً من الشراب لا يزيد على مئتي غرام ، لكنها تتحمل إنساناً يقدر وزنه بثمانين كيلو ، فكم وضع فيها احتياطي من القوة المتحملة للضغط ؟ وزن الكأس مئتا غرام ، الكيلو خمس كؤوس ، الثمانون كيلو أو المئة كيلو يقف عليها فلا تنكسر ، خمسمئة ضعف .

لو تصورنا أن كل عضو في الإنسان معه احتياطي ألف ضعف ، معنى ذلك انتهى المرض ، لا مرض أبداً ، يمكن أن نقول بشكل أو بآخر : إن الإنسان سريع العطب ، خثرة في الدماغ تشلّ حركته ، نقطة دم في شريانه التاجي توقف القلب ، يقال : سكتة قلبية ، خثرة دماغية ، نمو خلايا غير منتظم تنهي حياته .

المذيع:

فضيلة الدكتور ، بعد أن تحدثنا عن العقرب ، وما جرى له ، وأنه احتمل الصقيع، واحتمل البرود ، واحتمل رمل الصحراء ، فطبعاً الإنسان هنا سريع العطب .

الدكتور راتب :

طبعاً هو سريع العطب ، الشيء الذي أتمنى أن يكون واضحاً تماماً أن الله عز وجل واجب الوجود ، بينما ما سوى الله ، وهو الكون ، أو بالمصطلح القرآني السموات والأرض ممكن الوجود ، الذات الإلهية واجبة الوجود ، وما سوى الله من الكون ممكن الوجود ، معنى ممكن أي ممكن أن يكون ، وممكن ألا يكون ، وإذا كان يمكن أن يكون على ما هو كائن ، أو على غير ما هو كائن ، كان من الممكن أن يكون الإنسان متحملاً لكل الضغوط ، ولكل المتغيرات في الحياة ، إذا لا مرض .

مثل آخر ، نحن نأتي إلى الدنيا تباعاً ، وكان من الممكن نأتي جميعاً دفعة واحدة ، وأن نخادرها دفعة واحدة ، إذا لا موت ولا حزن ، يجب أن نعلم علم اليقين أن الله عز وجل واجب الوجود ، بينما خلقه ممكن الوجود ، يمكن أن يكون هذا الخلق موجوداً أو غير موجود ، وإذا كان موجوداً فيمكن أن يكون على ما هو كائن ، أو على خلاف ما هو كائن ، لو أن قلب الإنسان ، ودماغه ، وعضلاته ، والجهاز الهضمي ، والجهاز الإفرازي ، كان باحتياطي كبير جداً يتحمل كل التقلبات ، وكل المؤثرات ، معنى ذلك أنه المرض ألغى ، ولكن المرض مقصود لذاته ، إنه أداة تربوية ، قال تعالى :

﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[ سورة البقرة : ١٥٥-١٥٧ ]

هذه المصائب هي من تصميم الله عز وجل ، الإنسان كلفه الله حمل الأمانة ، وكلف أن يتعرف إليه ، وكلفه أن يطيعه ، فإذا جاء إلى الدنيا ، ولم يكن قائماً بما كلفه الله به ، أو غفل عن معرفة الله ، وعن طاعته ، فلا بد من مذكّر ، لو أن أباً قال له ابنه : يا أبت ، لا أحب أن أدرس ، مثلاً ، فالأب سمح لابنه ألا يدرس ، هذا حينما أصبح راشداً لم يجد معه شهادة يعمل بها ، ولا رأس مال ، ولا بيتاً ، ولا مكانة اجتماعية ، فحقد على أبيه ، قال : يا أبت ، أنا حينما سألتك ألا أدرس لم لم تنهني ؟ لم لم تؤدبني ؟ أنا لا أعلم أنت تعلم ، فكأن الأب ارتكب في حق ابنه خطأ كبيراً ، لأنه سمح له أن يفعل ما يريد ، وهو جاهل ، فربنا عز وجل يقول :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينِ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا أَقْبَلُوا مَا كُفِّرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَلَا يَلْمُونَ أَهْلَ الْمَدِينِ ﴾

[ سورة القصص : ٤٧ ]

حينما يصمّ الإنسان على أنه سريع العطب ، وقد يصاب بأمراض وبيلة ، وأمراض عضالة ، وقد تنهار معنوياته أحياناً ، هذه كلها وسائل تربوية ، لتقريبه إلى الله عز وجل .

لكن بشكل موضوعي المصائب لها أنواع متنوعة ، فالمصيبة في حق الشارد والتائه مصيبة ردع أو قضم ، إذا كان فيه بقية خير كانت ردعاً ، وإذا لم يكن فيه خير كانت قصماً ، لكن المصيبة في حق المؤمن مصيبة دفع إليه ، أو رفع إليه ، أما المصيبة في حق النبي فهي كشف كماله ، بالمصيبة ينكشف كمال النبي ، وبالمصيبة يدفع المؤمن إلى الله عز وجل ، أو يرتقي عنده في الأجر والثواب ، بينما الشارد والغافل إما أن تكون مصيبتة مصيبة قضم أو أن تكون مصيبتة مصيبة دفع ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة : ٢١٦]

المديع :

فضيلة الدكتور ، هنا في مثل هذه الحالة التي نتحدث فيها عندما يأتي مرض للإنسان نرى بعض الناس يقولون : لا أريد الذهاب إلى الطبيب ، ولكن الله يداويني ، هناك بعض الناس من يفكر بمثل هذه الطريقة ، وهناك من يفكر بطريقة أخرى ، بل يعتمد على الطبيب بشكل دائم ، ما هي الطريقة المثلى في مثل هذه الحالة ؟

## الأخذ بالأسباب و التوكل على الله :

الدكتور راتب :

الطريقة المثلى سألخصها ، ثم أشرحها : أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

العالم الآن غربي وشرقي ، العالم الغربي أخذ بالأسباب ، واعتمد عليها ، وأللهما، فوقع في الشرك ، والمجتمع المتخلف لم يأخذ بها فوقع بالمعصية ، هم مخطئون ، ونحن مخطئون ، إنك إن أخذت بالأسباب فينبغي أن تعتمد على الله ، تأخذ بها عبادة ، وأن تعتمد على الله يقيناً ، وإنك إن لم تأخذ بها فقد وقعت في المعصية ، بدليل أن الله عز وجل قال عن ذي القرنين :

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً \* فَاتَّبَعَ سَبَباً ﴾

[سورة الكهف : ٨٤-٨٥]

النبي عليه الصلاة والسلام علمنا في سنته أنه لما هاجر أغلق كل الاحتمالات، وهياً علاجاً لكل التوقعات ، فهياً من يأتيه بالأخبار في غار ثور ، وهياً من يمحو الآثار ، آثار الأقدام ، وهياً ناقة نجبية ، وهياً دليلاً رجح فيه الخبرة على الولاء ، كان مشركاً ، غطى كل الاحتمالات ، أخذ

بالأسباب وكأنها كل شيء ، فلما وصلوا إليه لم يضطرب ، فعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في الغار :

(( لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ))

[منفق عليه عن أبي بكر]

هو أخذ بالأسباب تعبدًا ، وهو يوقن بحفظ الله له ، أما المسلم المعاصر فلا يأخذ بالأسباب ، ويقول : توكلنا على الله ، هذا ليس توكلًا ، إنما هو تواكل . في بعض الأحاديث عن عوف بن مالك أنه حدثهم :

(( أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين ، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ، ونعم الوكيل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ، الكيس العمل والسعي والأخذ بالأسباب — فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل ))

[أبو داود وأحمد عن عوف بن مالك]

استعن بالله ولا تعجز . العجز ؛ أن أستسلم لقدري ، وألا أتحرك ، وألا أخذ بالأسباب . ألخص ذلك : أنت تمشي على طريق ضيق ، عن يمينك وادٍ سحيق ، هو وادي الشرك ، وعن يسارك وادٍ سحيق ، هو وادي المعصية ، إن أخذت بالأسباب ، واعتمدت عليها كما قال الصحابة الكرام في حنين: لن نغلب من قلة ، عددهم كبير ، اعتمدوا على العدد فقط ، قالوا يوم حنين :

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبة : ٢٥]

وحينما لا تأخذ بالأسباب ، عن أنس بن مالك يقول : قال رجل :

(( يا رسول الله أعقلها وتوكل أو أطلقها وتوكل ؟ قال : أعقلها وتوكل ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

سيدنا عمر رأى أعرابياً يقود ناقة جرباء ، قال : كيف تعالجها ؟ قال : أدعو الله أن يشفيها ، قال له : يا أبا العرب ، هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟ مشكلة العالم الإسلامي عدم الأخذ بالأسباب ، يجب أن نأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ثم نتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء .

## خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً كما ذكرتم فضيلة الدكتور ، على الإنسان أن يتخذ الأمر الوسط بين الأخذ بالأسباب والتوكل ، إذاً يأخذ بالاثنتين معاً .

طبعاً في مثل هذه الحلقات نتعلم نحن وإياكم الحكمة من بعض الأمور ، ذكرنا أن العقرب لم يمت من هذا الانفجار الكبير ، ولكن الإنسان يموت من شيء صغير .

أخوة الإيمان والإسلام ، مع هذه الحلقات نستفيد نحن وإياكم ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، جزاه الله عنا كل خير . شكراً جزيلاً .

**والحمد لله رب العالمين**